مُهرُ الفجرِ المأمول

شعر/ أحمد محمود مبارك



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـداء:

إلى الذين يكتبون بحروف الضياء،

وتسمق كلماتهم..

كشجرةٍ طيبةٍ

أصلها ثابتٌ

وفرعها في السماء

أحمد محمود مبارك

الإسكندرية/ مارس ٢٠٠٢م

مهر الفجر المأمول
والتجربة الشعرية عند أحمد مبارك

دراسة الدكتور السعيد الورقى

يأتى ديوان مهر الفجر المأمول للشاعر المبدع أحمد مبارك بعد رحلة إبداعية متواصلة وممتدة أثمرت أكثر من سبعة دواوين شعرية منها تداعيات - فى انتظار الشمس - فى ظلال الرضا - ومضة فى جبين الجواد - نبضات وألوان - إن الحمد لك وأوراق قديمة وأوراق جديدة.

والديوان الجديد تلخيص وتأكيد للرؤية الشعرية عند الشاعر موقفًا وصياغة ومفهومًا للقيمة.

أحمد مبارك شاعر أدرك منذ ديوانه الأول أن الفن موقف يتخذه الفنان من واقعه الحياتى والاجتماعى والإنسانى والوجودى، وأنه مطالب بحكم مكانته الفنية والاجتماعية والإنسانية أن يُبصر بهذا الموقف ليعين الآخرين على تبصر مواقفهم من ناحية وعلى اختيار هذه المواقف من ناحية أخرى.

هكذا تتوزع محاور القصيدة الشعرية عند أحمد مبارك بين الموضوع والذات الشاعرة ولا انفصال بينهما، فالتأمل فى الإنسان هو فى نفس الوقت اختراق للأحداث وللوجود ومن هذا المنطلق يمكننا تحليل شفرة الخطاب الشعرى للكشف عن مجموعة الأفكار والقيم المعروضة فى الرسالة.

منذ البداية سنرى أن المسيطر على شعر أحمد مبارك هنا وفى أعماله الأخرى شجن صوفى يسعى إلى الوصول إلى زمن للتواصل فى عالم الجدل الكونى والغبطة الشعرية:

إن قلبى مستضىءٌ

بالتقى..

لكنْ

النفس التى سويتها

يا خالقى منْ حمأ

لا تترك القلب هنيئاً بالضياء

كلما أبصرت النور به غُصْنًا نديًا مورقًا

ثارتْ،

ومارت

ريحُها الغيمية الصفراء

كى تُحيلَ الغصن جدبًاوانطفاء

فى هذه القصيدة «ضياء ليس يطفأ» كما فى غيرها من قصائد أحمد مبارك الصوفية، نرى هذا الشجن الصوفى الذى يركن إلى حزن هادئ حيناً ثائر أحياناً، استقر فى أعماق النفس نتيجة للتأمل فى مواجد الحياة وأسرار الكون وإدراك عجز الإنسان وقصوره تجاهها:

أجهد القلب

صراع ليس يهدأ

ورياح الفتنة الهوجاء لم تفتأ

تمور

فأعنه يا مُجير

واسكب العون ندى

منه غصون القلب تهنأ

برواء

وضياء

ليس يطفأ

ويكشف لنا المقطع الأخير هذا من القصيدة عن أبعاد الرؤيا الصوفية عند الشاعر، فمع ما فى هذه الرؤيا من قلق وشكوك وحيرة ومع ما تطرحه من تردد ومع ما فيها من شجن ذاتى، إلا أنه وكما هو واضح شجن لا يعيش فى المطلق، كما أن الشاعر لم يفقد المرجع العاطفى وبالتالى

لم يفقد المرجع السياسى والاجتماعى. فالصدمة التى تلقاها الإنسان على المستويات الواقعية والإنسانية والوجودية صدمة مؤقتة تحكمها ظروف واقعية تاريخية مستفزة تسعى إلى الدفع بالإنسان فى طوفان من المهانة المحاصرة، الشاعر شديد الوعى بهذا القبح الذى يترصده فى تجسداته الواقعية على كافة المستويات الإنسانية والواقعية الاجتماعية والفنية:

نسلُ خير الشعوب فى الأرض أضحوا
فى زمان العوار. مستضعفينا
كيف نرضى سفح الهوان مقامًا
ونرى فيه منزلاً مأمونًا
كيف نسعى وفى يدينا زهور
عاطرات إلى رضا قاتلينا
قد غدونا كمن يعانى طعانًا
ثم يسعى ليلثم السكينا

وعلى هذا النحو تأخذ القصيدة تجسيد مفردات الصدمة فى مشاهد مصورة لتخلص إلى أن هذا السقوط يعود إلى فقدان المرجع الوجدانى الذى يمثل من ناحية أخرى المستوى الأعمق لفقدان المرجع السياسى والاجتماعى، وأن الخروج من هذه الصدمة هو البحث عن المرجع الوجدانى:

أمــــر اللـه أن نقــــابَل أعـــداءً
فــصــرنا نقـــاتل الرشــد فــينا
مــزّقــتنا ريح الخــلافــات حــتى
مــاســفكنا إلا دمــاء أخـــينا

* * *

عــزة العــرب يا حــروفًــا أضــاءت
صــحف المجــد والفــخــار قــرونًا
إشـــرقى فى دمـــائنا .. أيقظينا
وأذيبى خــــذلاننا الملعــــونا

أوقــدى شــعلة السنا فى عــروق

دمــهــا قــد غــدا جليــداً وطينا

إن فـــينا برغم ثلج التـــوانى

أثرًا من إباء من انجــــبــــونا

هكذا تتآلف وتتحد الحقائق الوجدانية والعقلية فى مزيج مركب لعناصر مترابطة متداخلة لتقدم قصيدة شعرية تحمل روحًا قلقة، لا تنتهج السرد الرتيب المنظم، بل تنتهج التجزىء الذى تتجمع فيه مستويات عدة للإدراك. وهنا يتحول الخطاب الصوفى عبر الشجن الغنائى إلى خطاب فكرى سياسى، تتمدد الموجدات الصوفية داخله إلى موقف وعمل يستندان إلى مرجعية.

لقد لاحظت من قبل فى دراسة سابقة لى عن أحد دواوين أحمد مبارك ما فى شعره من رؤيا صوفية منغمسة فى سر الوجود بالفكر الإسلامى الصحيح للعمل على إيجاد صوفية إسلامية تمزج بين الحب والعمل والعشق والمجاهدة، وهى ظاهرة واضحة بشكل لافت فالشاعر

المسكون بالروحانية الصوفية يعيش داخلها بوعى كامل لا يخشى قوى الشر والقبح وهذا سر البساطة الشعرية الواضحة فى تجسيد المواقف وفى تحويل الحياة إلى مادة أدبية مثيرة للفهم ومثرية للذوق:

منّا الذين والدُنى

فى غيهب الجهل تنام

...، شقت خيول فجرهم

حصن الظلام

وانطلقوا

يرافق السنا خطاهم

والرشد والقسطاس والوئام

فشع فى دجى القلوب

الظامئات للضيا

بهدية الإسلام

* * *

وتتحول القصيدة عند أحمد مبارك إلى أغنية وطنية قومية، وأنشودة صحوة تتغنى بنضال الفلسطينيين أبطالاً وتبحث عن عزة العرب وسبل استنهاضهم، وهنا يتجه الشاعر إلى اختراق الحدث محولاً إياه إلى رمز، ويلعب ترميز التاريخ هنا دورًا كبيرًا من خلال النظم الإشارية المتكاثرة فى النص، على نحو ما نرى فى قصيدة مهر الفجر المأمول والتى تتحدث عن البطولات الفلسطينية والأبطال الشهداء ومنها هذا المقطع

لا تبكى يا أيتها الأم

هو من نسل جواد

لم تعتم عيناه

وبنود الكفر

تسد الأفق

انطلق وشق

حصون الباطل

فى بدر

فى خيبر

فى اليرموك وفى طين

انطلق إلى صولته الميمونة

فوق ربوع الأرض

يكبر.. باسم الله

وينثر فى الظلمات

زهور الومض

ويفتح فتحًا.

حيث تقوم الأسماء الظواهر بدور الترجيع الدلالى التصويرى الذى يحدد الاتجاه القيمى فى النص.

والقصيدة مثل سائر قصائد أحمد مبارك معايشة للصيغ التراثية واستحضارها من مجالاتها الدينية والتاريخية والحضارية لتقديم الموقف الواقعى التاريخى

الذى تعانيه القوة المولدة للاتجاه القيمى فى النص الشعرى بما يحقق التماسك على مستوى الدلالات ووضوحها على نحو يمثّل يسر الفهم والاستيعاب للمتلقى:

يقول الدم العربى

هنا

فى الخليل وفى القدس

فى غزة والجليل

وفى بيت لحم

وفى بيت جالا

هنا فى الربوع التى تتجذّر فيها

عروق الجدود

برغم اجتياح عتاد اليهود

هنا

حيث ظلت صلاة الأمين

بأخوته المرسلين.. سنا

ليس يعروه رغم حصار الدياجى

اختناق

إن وجود التماسك الدلالى على هذا النحو بلا شك مظهر دلالى للخطاب الشعرى وما يحمله هذا من إمكان التواصل معه

* * *

وإذا كان تماسك البنية الأفقية للخطاب الشعرى عند أحمد مبارك قد ساعد على وضوح الدلالة إلا أنه من ناحية أخرى قد ترك ظلالاً تتمثل فى ضعف الخط الدرامى وفى الانكفاء على المعجم الخاص وفى تقارب وتشابه الحالات الشعرية والألوان التصويرية

* * *

شعر أحمد مبارك فى هذا الديوان الجديد وفى غيره من الأعمال السابقة شجن غنائى يتردد بين غنائية صافية تحقق التوافق الوجدانى بين الذات الشاعرة والآخرين

وبين روح الكون على نحو ما نرى فى قصيدته «آهة» وهى من أفضل قصائد الديوان:

أنا الذى زرعتها

وتلك أرضى

أنا الذى روّيتها

من نبع نبضى

وحين أزهرت..

ونورت

فذاك من رحيق ومضى

* * *

وها أنا أجوب مهمها عسيراً

أكابد الهجيرا

وأشرب اللظى

ولا سبيل نحو فيئها الندى

يفضى

وبين شجن انفعالى ثائر يتضمن مخالفته للآخر وتمرده عليه:

حاصرتنا قصائد معتمات
دبجتها قريحة الظلماء
ودمى فى مسارح الفكر تهذى
حركتها أصابع فى الخفاء
فى بحار التغريب ضاعت عقول
ضللتها مزاعم الخبثاء
أطلق الشعر فى العباب شراعًا
لا يبالى بالموج والأنواء
عد بها حيث مرفأ عربى
وانتشلها إلى شطوط النجاء

* * *

وتفترق هذه الغنائية عند أحمد مبارك عن الغنائية

الرومانسية فى أنها غنائية درامية، فالقصيدة الشعرية هنا ليست مجرد اجترار لحالة وجدانية واحدة بقدر ما تسعى إلى تجسيد المواقف الشعرية فى مشاهد مصورة تقترب من نظام السيناريو المكون من مجموعة مشاهد بصرية فى متوالية نصية يوفر لها الشاعر فى بعض الأحيان خطًا دراميًا متحركًا على نحو ما نرى فى قصائد «حديث للدم العربى - النور فى عرفات - فوق منحنيات التعب ونشاطرك الحب».

* * *

«مهر الفجر المأمول» ديوان جديد للشاعر أحمد مبارك يقدم به ومن خلاله الشاعر شعرية البساطة الواضحة، يسيرة الفهم والاستيعاب تمزج الخاص بالعام بالمطلق وتحيله إلى مادة فنية أدبية محفزة ومثيرة ودافعة ومثرية للذوق

د.سعيد الوقى

مُهْرُ الفجْرِ المأمول

- ١ -

لا تبكى يا أيتها الأمُّ عليه وقدْ أضحى...

منطلقًا...

نحو الدربِ المفضى..

لمروج الآمالِ..

يشقُّ تروسَ الأهوالِ...

ويضبحُ ضبحا..

لا تبكى يا أيتها الأمُّ عليه..

ولا يهمسْ خوفكِ ملتاعًا،

ما زالَ المهرُ صغيرًا..

لم تعركهُ الحربُ...،

فمنذُ انطلقَ..

ووقدُ العزمِ الساطع فى عينيهِ..

لم يخبُ

ولم يرتدَّ إلى رئتيه صهيلُ

مهما الهولُ تمطّى فوق الدرب،

نصالاً...،

والأفقُ انبهمَ...،

فسنبُكهُ الضوئيُّ..

يفلُّ سعارَ الأنصالِ..

ويقدحُ قدحا..

فيضيءُ طريقًا بالظلمةِ نضحًا...

- ٢ -

لا تبكى يا أيتها الأمُّ عليه..

هوَ منْ نسلِ جوادٍ..،

لم تعتمْ عيناهُ..،

وبنودُ الكفرِ تسُدُّ الأفقَ..

انطلقَ وشقَّ

حصونَ الباطلِ..

فى بدرِ

فى خيبرَ..

فى اليرموكِ وفى حطينَ..

انطلقَ إلى صولتهِ الميمونةِ..

فوق ربوعِ الأرضِ

يكبّرُ باسم اللهِ..

وينثرُ فى الظلماتِ زهورَ الومضِ.،

ويفتحُ فتحا...

- ٣ -

لا تبكى يا أيتها الأمُّ عليه

فحمحمةُ المهر المغوارِ.،

المنطلقِ ليقطفَ من رابيةِ المجدِ.،

أكاليلَ الغارِ.،

تزلزلُ أركانَ بروجِ بنى المصطلقِ.،

تسربلُ أحفادَ «قريظةَ» بالفرقِ

تبلسمُ فى قلب القدسِ المحزونةِ...،

جُرحا...،

- ٤ -

لا تبكى يا أيتها الأمُّ عليه.،

فمُهرك ذاك المنطلقُ.،

إلى آفاقِ الفجرِ المأمولِ...

تباركُ طلعتهُ..

ومضةُ سيفِ اللهِ المسلولِ..

تعطرُ غرتهُ..

رايةُ حطينَ..

- سيرجعُ بقميصِ فلسطينَ..

يعيدُ إلى عينيكِ.. الصبحا...

الحجرُ المبارك

يا أيُّها الحجرُ المباركُ..،

شقَّ ظلمتهمَ..،

وسطِّرْ..،

فى كتابِ المجدِ..

ملحمةَ الفخارْ

يا أيها الحجرُ الذى،

من فيضهِ الضوئىِّ..

تفزعُ..،

قنبلاتُ البطشِ،

تهرعُ..

مركباتُ الغدرِ..

تلتمسُ النجاةَ..

وراءَ أسوارِ الفرارْ

يا أيها الحجرُ الذى..

من عزمكَ الموصولِ..

بالجندِ..

الذين أذانهم قبلَ المعاركِ. فتَّحَ الأمصارْ

- ها أنتَ تزهقُ..

كيدَ من قدْ زوَّروا..

كُتبَ الإلهِ..

ليشتروا ثمنًا قليلاً..

تُجهضُ..

الحلم الذى نسجتهُ..

فى ليلِ الضلالِ

ضغائنُ الأحبارْ

يا أيها الحجرُ المباركُ..

قل لهم:

يا قاتلى،

رسلَ الإلهِ..

وآكلى الخبز الذى أشبعتموهُ من دمِ الأغيارْ

أنتم أشدُّ الناس حرصًا

كى تعيشوا..

والذى قدْ ضمنى فى كفّه..

لا يبصرُ الدنيا..

بغيرِ سنا ابتسامة قدسه..

إلاّ مواتًا واندثارْ

ضياءُ ليس يُطفأُ

إنَّ قلبى مستضىءُ بالتقَى..

لكنّ:

النفسُ التى سوَّيتها..

يا خالقى..

من حمأٍ..

لا تتركُ القلبَ..

هنيئًا بالضياءْ

كلما أبصرتِ النور بهِ..

غصنًا نديًا مورقًا.،

ثارتْ.،

ومارتْ.،

ريحها الغيميةُ الصفراءَ

كى تُحيلَ الغصنَ جدبًا وانطفاءً

* * *

أجهدَ القلبَ.،

صراعٌ ليس يهدأْ

ورياحُ الفتنةِ الهوجاء.،

لم تفتأ.،

تمورُ.،

فأعنهُ يا مُجيرُ

واسكبِ العونَ ندىً.،

منهُ غصونُ القلب تهنأْ

برواءٍ..

وضياءٍ ليس يُطفأْ

عزةُ العرب

أينَ يا بيــرقًــا بكف «صــلاحٍ»

عــانقَــتــهُ شــمسُ الإباء سنينا

أين يا فــــارسًــــا بعطرِ دمـــاهُ

أينعَ المجـــــدُ فى ربا حطِّينا

أين إرثُ الأجــداد؟ أين شــمــوخُ

خلّفَــتــهُ كــتــائبُ النصــرِ فــينا

نسلُ خيرِ الشعوب فى الأرض أضحوا

فى زمانِ العـوارِ ـ مسـتـضـعفـينا

كيف نرضى سفح الهوان مقامًا

ونرى فيهِ منزلاً مأمونًا؟!

كيف نسعى وفى يدينا زهورٌ

عاطراتٌ إلى رضا قاتلينا

قد غدونا كمنْ يعانى طعانًا

ثم يسعى ليلثمَ السكينا

عزة العُرْبِ يا حروفًا أضاءتْ

صحفَ المجدِ والفخارِ قرونا

قد طمسنا الضياءَ بالهونِ سرنا

نقتفى الغيمَ والهوى والدجونا

أَمرَ اللهُ أنْ نقاتلَ أعداءً

فصرنا نقاتلُ الرشدَ فينا

مزقتنا ريحُ الخلافات حتى

ما سفكنا إلا دماء أخينا

ولعـــبنا وفى الضلوعِ نصـــالٌ

والعـــدا فى دمـــائنا والغـــونا

عـزّةَ العُـربِ يا حـروفًا أضـاءتْ

صـحفَ المجدِ والفـخـارِ قـرونا

أشـــرقى فى دمـــائنا أيقظينا

وأذيبى خــــذلاننا الملعـــونا

أوقـدى شـعلةَ السنا فى عـروقٍ

دمـهـا قـد غـدا جليـدًا وطينا

إن فـــينا برغمِ ثلجِ التـــوانى

أثرًا منْ إباْء من أنجـــبـــونا

انفـضى عنهُ غـيمَ ليلٍ كـئـيبٍ

فلعلَّ الجليـــدَ يغـــدو أتونا

إن فـينا شـمـوخ زيد وسـعـدٍ

والمثنى وجـحـفل الفـاتحـينا

غـيـرَ أنَّا قـدْ خـدَّرَتْنا الملاهى

ولبـسنا الونَى دثارًا مـهـينا

عـزة العُـرْبِ يا حـروفًا أضـاءتْ

صـحفَ المجـدِ والفـخـارِ قـرونا

جـددي البـأسَ والعـزيمـة فـينا

وأبيـدى هواننا المسـتكينا

مـهجـةُ القـدسِ تستـجيرُ وجـرحٌ

فى فـؤادِ الأقـصى يبثُّ أنينا

بشـرى القـدسَ بالخـلاص وداوى

بضـيـاء الشـمـوخ جـرحًـا ثخينا

أرجعـينا صفًـا رشـيدًا مضيئًـا

يسـتـقـى العـزمَ من سنا حطينا

علقم السؤال

منَّا الذينَ والدُّنى..

فى غيهبِ الجهلِ..

تنامْ

شقَّتْ خيولُ فجرهمْ

حصنَ الظلامْ

وانطلقوا،

يرافق الضيا..

خُطاهمو..

والرشدُ والقسطاسُ..

والوئامْ

فشعَّ فى دُجى القلوبِ

الظامئاتِ للسَّنا..

بهديهِ الإسلامْ

فكيف بعنا..

دُررَ المجدِ التليدِ.

بالرغامْ؟!

وكيفَ فى يدِ الحفيدِ..

يصدأُ الحسامْ؟.

يا علقمَ السؤالِ.. من يجيبُ..

منْ يزيلُ عن حلوقنا..

مرارةَ الأيّامْ

ومنْ يعيدُ للحسامِ ومضةَ الصليلِ.،

كى يزيحَ عن آفاقِنا.،

تكدُّسَ الضبابِ والقتامْ

كلُّ مرادى

أدعوكَ..

وأبتهلُ إليك...

وأنتَ مجيبُ السائلْ

ليس كما يدعو..

مَنْ تَيَّمَهُ..

العرضُ الزائلْ

وانصرفَ إلى دنياهُ رجاهْ

فالجاهْ

والكرسىُّ السامقُ والمالْ

نِعمٌ..

لكنْ.. نقمٌ ووبالْ

إن لم ترضَ..

وإنْ لم يشرقْ هديكَ فى القلبِ،

فأنعمْ يا ربِّ..

علىَّ...

أنرْ بضياءِ هداكَ..

فؤادى..

واشملنى بظلالِ رضاكَ...

فهذا كلُّ مرادى

قبضةٌ تجذبُ ثوبى

هذه الدنيا الرحيبةْ..

حاصرتنى..،

بسيلافٍ منْ عناقيدِ الفتونِ..

شاغلتْ..،

لفحةَ أيامى الجديبةْ

وتراءتْ لعيونى..

قبضةٌ تجذبُ ثوبى

كى ألبىٍّ..،

دعوةَ الإثمِ وإغواءَ المجونِ

والمغاليقُ على أبوابها.،

كفانِ.،

وعدٌ ووعيدٌ.،

يبسمُ الكَرْمُ بكفٍّ.،

ورحيقُ الوصلِ يصفو

وبكفٍّ يتحدَّى

رأس إدباريَ سيفُ..

وأنا طينٌ تلظَّى.،

لرحيقِ الوصلِ يهفو

..، وفؤادٌ وارفٌ بالطهرِ.،

عن همسِ الهوى الطاغى.. يعفُّ..

فأجرنى يا إلهى.،

من مدى مدٍّ وجزرٍ لا يكفُّ

إن سحبًا داكناتٍ..

بسراج العزمِ في صدري تحفُّ..

والذي يحظى..

بحصنٍ من ضيا عونكَ..

لا يعروهُ خوفُ

حديث جديد للدم العربى

«يقولُ الدمُّ العربىُّ»*

هنا..،

فى الخليل وفى القدس.،

فى غزة والجليل،

وفى بيت لحم.،

وفى بيت جالا.،

هنا.،

فى الربوع التى تتجذرُ فيها.،

* مطلع قصيدة، وعنوان ديوان للشاعر الكبير فاروق شوشة.

عروقُ الجدودِ.،

برغم اجتياح نصالِ اليهود.،

هنا..،

حيث ظلتْ صلاةُ الأمينِ.،

بأخوتهِ المرسلينَ.،

سنا.،

ليس يعروهُ رغم حصارِ الدياجى،

اختناقْ..،

أنا..،

ما غدوتُ أُراقْ

بطيش.،

ليالى الملاهى،

وبطش.،

سيوفِ الشقاقْ

ولم أرتعدْ لائذاً بالعروقِ..

إذا ما رحى الحربِ دارتْ

.. وأتركْ

خيولَ الشفاهِ..

لكيما تصول..

أنا .. من فيوضى انبثاقْ

به تكتسى الآن..

راياتُ فجرِ العروبةِ..

منْ دفقاتِ روائى،

وتنهلُّ منِّى،

رماحُ شعاعٍ عفىٍّ

يعيدُ إلى أفقِ أمتنا..

ومضاتِ الزمانِ السَّنىِّ،

ويخرقُ غيمَ المحاقْ

أنا يرتوى الآنَ..

إكليل غارٍ

على قبرِ صنديدِ حطينَ..

منْ فيضِ نبع ضيائى،

ويورق فى رُبا القدسِ..

زهرُ الفداءِ..

وتمُحَى خيوطُ انكسار بهيمٍ..

ثوى فى عيونِ الجيادِ..

فتنفضُ عنها قتامَ الرقادِ..

وينسابُ منها صهيلُ الجهادِ..

يضمدُ جرحًا..

بقلبِ الثكالى..

يبشِّرُ عينَ السبيةِ.،

أن قد دنتْ

فرحةُ الانعتاقْ

* * *

«يقولُ الدمُ العربيُّ»:

لأحبار صهيونَ.،

فلتنفثوا حقدَ خيبرَ.،

أضغانَ حطينَ.،

فوق ربوعى.،

..، عواصفَ مترعةً بالسموم،

فلن تظفروا .،

بخضوعى،

ولن تطفئوا فى عروقى النهارْ

«يقول الدم العربُّى»:

أنا ..

إن تفجرتُ سيلاً ..

وفاضتّ ..

بفيضى بحارٌ

ستبقى فلسطينُ منسوجةً ...

فى عروقى،

وتبقى عروقى جذورًا بأرضى ..

تروِّى زهور الفداءِ،

تجددُ فى مهجةِ القدس أمنيةَ الانتصارْ

إنّ كلّ الحمد لك

حينما ..

أبصرُ منْ ينشدُ عونا ...

وهْوَ فى أسرِ..

ظلامِ الشدّةِ..

وأرى كفّىَ تمتدُّ إليه..

بوميضٍ منْ شعاعِ النجدةِ..

فضياءُ العونِ..

هذا يا إلهى - ليس منّى

أنتَ معبودٌ رحيمٌ
وأنا يا ربُّ عبدُ..
أنتَ رزاقٌ كريمٌ..
ونداكَ الثَّرُّ منهُ الخيرُ..
والإحسانُ الرِّفدُ..
كلُّ أيدٍ شعَّ فيها البرُّ..
لا تمتدُّ..
إلاَّ بالذى جُدتَ به...
يا واسعَ الفضلِ عليها
إنما النعمةُ والإحسانُ منكَ..
وإليها..
هل لمخلوقٍ - إذاً - مهما تَجُدْ كفّاهُ حمدٌ..
إنَّ كلَّ الحمدِ لكْ
إن كلَّ الحمدِ لكْ

كيف نرثيه!

كـــيف نـرثيـــهِ وفى أضـــلاعنا

لـم يـزل مـنـهُ نـزيـفٌ وأنـيـنْ

هلك الجـانى الذى امـتصَّ الدِّمـا

أو يبكى فـقـدَهُ الجـرحُ الثـخـينْ؟!

نحنُ مـا زلنا ضـحـايا بطشـهِ

وعلـى أنيـــابهِ نـزفُ الـوتـينْ

لا يزال المســجـدُ الأقــصى به

كـدمـاتٌ منْ نعـال المجـرمـينْ

لا تـزال القــدسُ تبكى حـــســرةً

نورهـا الـغــائب فى كـهفِ الدّجـون

لم تـزلْ «قـانا» حـريقًـا مـسـعَـرًا

... هل غدا الحارقُ صديّقًا أمينْ!

هـرولوا.، ذوبوا نحـيـبًـا واندبوا

واسكبـوا من أجله الدمعَ الهـتـونْ

وانثُـروا الوردَ على جــثــمــانهِ

وصِـفـوهُ بصـفـاتِ الصـالحـينْ

لـن يـزيـلَ الحـقَّ يومًـــا بـاطـلٌ

لن يفـيـدَ الشـرَّ مـدحُ المادحـينْ

إلى الفصلِ الذرى ٣٣

دمى فى يديه..

وأوصالُ لحمى،

تسريلُ نابه

وتنهرنى،

حين تخدش أظفارُ يأسى،

إهابةً

وتأمرنى،

بالتحلّى،

بروحِ السماحةِ،

حسنِ الجوارِ.،

وأن أكتسيَ.،

بدثارِ

التجلُّدِ.،

أسعى إليه بزهرِ التودُّد.،

أطرقُ بابهَ

لعلَّ زهور التودُّدِ،

تودى بأوجاعهِ.،

وتخفِّفُ عنهُ مصابهَ

وحين يُغيرُ على الرّبعِ.،

تأمرنى،

أن أمُدَّ بساط السلامِ.،

لأطماعهِ.،

وإنْ رحتُ أُبدى اعتراضى

وأُلقى دفوعى،

تهدد..،

ترغى وتزيدُ..،

تبرز من ناظريكَ نصالُ الوعيد

وتنعتنى أننى قد كفرتُ بشرع النظامِ الجديد

وتنذرنى بالعذابِ الشديدْ

* * *

يا سيد الذرّةِ والأجواءِ والبحارْ

يا من غدوتَ قاضيًا ومفتيًا،

فى زمنِ الضلالِ والعوارْ

إنى برغمِ عينىَ التى..،

طفتْ على وميضها سحائبُ الأحزانْ

أرى الأصابعَ التى تحركُ الميزانْ

أراكَ فى حانةِ «سالومى»

تعبُّ من دماءِ «المعمدانْ»

يلوحُ لى،

قانونكَ المشئومُ...،

عبرىَّ اللسانْ

يا سيِّدَ الذرّةِ والأجواءِ والبحارْ

يا من يظنُّ أنهُ امتلكْ

إرادة الأنامِ والزمانْ

غدًا تدورُ دورةُ الفلكْ

ويسقطُ الحلكْ

تحت سنابكِ النهارْ

وقد أخلفتم

ما غيرتُمْ...
ما يكمنُ فى أنفسكُمْ
ما زلتم..
منذ أجيبتَ دعوتكمْ..
وتكاثرت الأنعامُ..
حتى أصبحَ لا يجمعها بلدٌ..
أو يحصيها عددٌ
ما زلتمْ..

منذُ انهمرَ عليكم مددٌ
فجَّرَ قلبَ الصخرِ..
لجينًا ونضارا
وتشبَّعَ منْ غيثِ النعمى..
فى رمضاءِ أراضيكم جدبٌ..
حتى أينعَ كرمًا وظلالاً وثمارا
لم تبصرها أعينكمْ منْ قبلُ..
فأذهلتِ النظراتُ
وغابَ العقلُ..
وغبتمْ...
.... ما زلتم.. فى غيبتكمْ..
تزْوَرُّونَ..
إذا ما لاحَ أمام خُطاكمْ
دربُ البرِّ..

وتهتزونَ ثمالى.،

لما تتعالى.،

...، دقاتُ طبولِ النكرِ.،

وتغمضُ أعينكمْ.،

وتغيرُ على الأسماعِ.،

سهامُ الوقرِ..،

إذا ما انطلقتْ من أفئدة الإيمانِ.،

شعاعاتُ الذكرِ..،

وما أنفقتُمْ

إلا فى سوق الوزرِ.،

فما شكواكمْ

من عللٍ ما كانتْ تدهمكمْ.،

أيامَ الفقرِ.،

لماذا تنتظرونَ فيوضَ الأجرِ.،

وقد أخلفتمْ؟

نزفٌ من قلبِ الحرية

نزفٌ من قلبِ الحريةِ.،
ينسكبُ..،
باسمى كتبوا.،
أحرفهمَ بمدادٍ سفلىٍّ
بثوا «هيروبين» الرِّجسِ.،
بأوردةِ الأوراقِ..،
ونعتوا عوراتِ سطورِ الفتنةِ.،
بالإبداعِ الخلاقِ..،

وزعموا ..

أن نفاياتِ غرائزهم.. أدبُ..

نزفٌ من قلبِ الحرية ..

ينسكبُ...

باسمى شربوا

منْ حاناتِ العفنِ الفكرىِّ

كؤوسًا ..

عتَّقَها أشرارُ بنى صهيونَ

وراحوا يهذونَ..

بكل حروفِ السكرِ البيِّنِ..

يجترئونَ..

على الحرماتِ..

يعيدونَ..

طقوسَ العزَّى واللاتِ...،

يسبونَ..

الكلمَ الطيبِ..

ولحزبِ الشيطانِ انتسبوا...،

نزفٌ منْ قلبِ الحريةِ..

ينسكبُ..

همْ رفعوا راياتى،

فوق أسنةِ أقلامهم..

المحقونةِ بالأوباءِ

وزيفِ الأضواءِ..

فيا أصحابَ الألبابِ..

حذارٍ..

أن تنخدعوا بفخاج الومضِ الكذابِ.

فقدْ كبرتْ كلمات تخرجُ.،

منْ أفواهٍ.،

أكلتْ منْ شجرِ الزقومِ.،

وأرضعها الكذبُ...

حروف الضِّياء

أطلقِ الشعرَ أحرفًا منْ ضياءِ
مستنيرَ الرّؤى بوحى السماءِ
أطلقِ الشعرَ تختفى حين تُلقي
بعصاهُ.. قصائدُ الأدعياءِ
وأزحْ بالبيانِ لغوًا تفشى
مثلَ غيمٍ كساعيونَ الصفاءِ
حاصرتنا قصائدٌ معتماتٌ
دبجتها قريحةُ الظلماءِ

ودميً فى مسارح الفكر تهذى

حركتها أصابعٌ فى الخفاءِ

فى بحارِ التغريبِ ضاعتْ عقولٌ

ضللتها مزاعمُ الخبثاءِ

أطلقِ الشعرَ فى العُباب شراعًا

لا يبالى بالموجِ والأنواءِ

عُد بها حيثُ مرفأً عربىٌّ

وانتشلها إلى شطوط النَّجاء

ها هى الضاد حولها شرٌّ كيد

بيديه أسنةُ البغضاءِ

والتراثُ المجيدُ قدْ حاصرتهُ

بدهاءٍ جحافلُ الضرّاءِ

افتد الضادَ إنها لغةُ القرآن (م)

من كلِّ هجمةٍ واعتداءِ

وادفعِ الضــرَّ عن تراثكَ واكــشفْ

مــا يحــيكونهُ لهُ فى الخــفــاءِ

قد تعالى فى ساحةِ الحرفِ قولٌ

يتــبــاهى باللُّكنةِ الشــوهاءِ

يدعى أنهُ يريدُ جــــديدًا

وإســارًا من قــالبِ القــدمــاءِ

وجــديدُ الدعيِّ غث قــمــيءٌ

وخليقٌ بجــــفــــوةٍ وازدراءِ

فــصلوهُ عنْ رفــدِ أصلٍ كــريمٍ

وجــــذورٍ تمدُّه بالنمــــاءِ

فــبــدا شــائه الملامح هشًــا

فى أكفِّ العــواصفِ الهــوجــاءِ

أطلقِ الشــعــرَ يا يراعًــا أصــيلاً

بالجــديد الجــديرِ بالإحــتــذاءِ

من جـذورِ الـتـراثِ يـسـمـو كـريمًـا

لا يعـــانـى مـــذلـةَ الـلـقـطـاءِ

ويـبـثُّ الـرواءَ إنْ ذبـلَ الـروضُ

ويثـــرى مـــآثـرَ الآبـاءِ

مـا أعـزَّ الجـديدَ إنْ كـان شـعـرًا

مـسلمَ النبضِ، يعـرُ بىَّ الدمـاءِ

إنمـا الشـعـرُ للعـروبةِ فـخـرٌ

هـو ديوانـهـــا ثـرىُّ الـعـطـاءِ

كم تغنَّى بمجـد أسـلافنا الغُـرِّ..،

وكـان النشـيـدُ حلوَ الرواءِ

ضمَّ فى صـدرهِ الـتـراث مـصـونًا

لم يدعـهُ مـهـددًا بالفناءِ

نشـرَ الفنَّ والـعلومَ قـرونًا

وأضـاءَ الحـيـاة بالحكمـاءِ

بثّ روح الأخلاقِ والطهر فى الناس...

وأعلى مكانةَ الشعراءِ

بردةٌ منْ يدِ الرسولِ لكعبٍ

دثرتهُ بهالةٍ من ضياءِ

إيه حسانُ.. كم زهوتَ بقولٍ

من نبىٍّ الإسلامِ حلوِ الثناءِ

كان أقسى من النبالِ قصيدٌ

منك فى صدرِ جحفلِ الأعداءِ

إننا نحتذى سبيلكَ دومًا

بقصيدٍ مؤجج بالفداءِ

شعرنا منّ سنا العقيدةِ يسقى

ثم تسمو فروعهُ فى السماءِ

مرثية عينين

غادرتها..

عصافيرها الخضرُ..

لما استنامتْ

لقوسِ المساءاتِ،

ترشقها..

بسهام الضباب..

التى روعتْ..

رفرفاتِ العفافِ بأجداقها..

وأحالتْ ندى الزقزقاتِ..

إلى بركةٍ من كدرْ

آهِ.. هل كانتا غابتينِ،

نخيلهما سامقٌ

عانَقَتْه شموسُ الإباءِ

ووشاهُ ومضُ السحرْ

إرثِ مثلىَ..

يا أيها البدرُ

تلك العيونَ..

التى بادلتكَ المناجاةَ..

طُهرًا بطهرْ

ارثِ شطَّ الضياءِ..

الذى فى خضمٍّ الليالى انتحرْ

فُقّاعات

حينَ سمعتُ مقدِّمَ..

أمسيةِ الشعرِ..

يوشي اسم الشاعر...

بحروفٍ من ألقٍ وثناءْ

لم يحظَ بها...

منْ قدمهم منْ قبلُ...

منَ الشعراءْ

...، اتجهتْ عيني نحوَ الشاعرِ...

كانَ بهىَّ الطلعةِ..،

موفور الصحةِ.،

وأنيقًا..،

يمشى نحوَ الدرج المفضى للمنبرِ.،

فى خيلاءْ

* * *

واتقدَ الإصغاءْ

وانتظرَ الجمعُ

لكى يحظى

بسماع قصيدتهِ العصماءْ

فإذا بحروفِ الشاعرِ..،

تطلقُ فقاعاتِ هواءْ

أفسدتِ الجوَّ العطرىَّ.،

وبثتْ.،

فى أفقِ «الأمسية» المتألقةِ..

غيومًا وغثاءً

أودتْ بعبير حروفٍ..

أطلقها من قبلُ..

فتىً..

لما صعدَ المنبرَ يلقى الشعرَ..

ارتسمتْ هيئتهُ المتواضعةُ..

على نظراتِ الناسِ..

حروفًا منْ إشفاقٍ ورثاءْ

طلاء

حدِّثْ عن نفسكَ..،

أنَّى شئتَ،

وكيف تشاءْ

بلسانكَ..،

أو بلسانِ المنتفعينَ..،

المتشحينَ،

بأنسجةٍ من تضليلٍ ورياءْ

قد يصحب حرفكَ..

حين يُردِّدُ..

طبلٌ ومزاميرُ..

«فلاشاتٌ»

تصبغُ ذاك الحرفَ المفتعلَ،

المنطفئَ الفاترَ،

بالأضواءْ

حتى يبدو نجمًا..

يبزغُ فى آفاقِ عيونِ الدهماءْ

....، قد تُرْفَعُ كلماتك..

تلك العاجزةُ عن التحليقِ،

بأعمدةٍ من أوراقِ التلفيقِ..

ولكنْ:

حتامَ تظلُّ حروفكَ..

ألقا..

...، وجناحًا يرقى

وبريقُ التضليلِ طلاءٌ

يُمْحَى حين تلوحُ شموسُ الحقِّ..

..، وأعمدةُ الزلفى... جوفاءٌ

إشراقةٌ

أتظلُّ بعيدًا...

تثقلُ كاهلكَ ذنوبٌ...

كجبالٍ منْ جلمدْ؟

إن نبضَ الندمُ بقلبكَ...

يسعى...

كى يلتمسَ ضياءَ العفوِ...

يلفكَ...

غيمُ اليأسِ الأسودْ

فتعودُ لتقعدْ

بين شباكِ الغيِّ..،

أتخشى أن ترجعَ خزيانِ السعيِ..،

طريدًا مبعدْ

انزعْ عنكَ غيومَ اليأسِ ولا تترددْ

واقصدْ..

عفوَ كريم لا يخذلُ..،

منْ آبَ إليهِ..

وتاقَ لنورِ رضاهْ

سبحان الله..

ما خابَ رجاءٌ قصدَ نداهْ

سبحان الله..

ما كانَ لرحمتهِ بابٌ يوصدْ

فى وداع الإمام

«دقادوسُ»

ما أنتِ وحدكِ..،

حطتْ عليها طيورُ الكروبِ..

فكلُّ القرى والنجوعِ

وكلُّ المدائنِ..

كلُّ الدروبِ..،

التى يتعالى نداءُ المآذنِ..،

فيها..،

غدتْ خلفَ سحبِ الحدادِ..،

عيونًا تذوبْ

«دقادوسُ»..،

ما بيننا منْ يعزِّى.،

ومن يتلقى العزاءَ.،

فمنذ عبير الإمامِ ارتحلْ

وكلٌّ يعانى أسى اليتمِ.،

كلٌّ عزاهُ المصاب الجللْ

ولكنْ:

عزاءُ القلوبِ الحزينةِ.،

«نورٌ على نورْ»

سرى فى الصدورْ

أزاح الغيومَ التى عششتْ.،

فى حنايا القلوبِ

ورؤى بطهرِ الجدا..

سنبلاتِ الهدى

فتألقَ كلُّ فؤادٍ دنا..

واستقى

من فيوضِ الإمام...،

بنورِ التقى،

فاقرئى الفاتحةَ

على روحِ منْ ذكرهُ ليسَ يفنى...،

على روح منّ..

عمهُ البشرُ وهو يعودُ إلى ربهِ..

راضيًا مطمئنًا...

---

* فى وداع الإمام الشيخ محمد متولى الشعراوى.. عليه رحمة الله

* دقادوس.. مسقط رأس الإمام، وإحدى قرى محافظة الدقهلية

فوق منحنيات التّعَب

وكنت..

تطلُّ عليَّ..

سنا وسلامْ

تبددُ غيمَ الأسى

المستبيح..

رؤى مقلتى..

وتنفضُ عنِّى خيوطَ القتامْ

فأبصرُ وجه الحياةِ..

نديًا ..

ويرحلُ طيرُ التباريحِ..

عن مهجتى..

ليمرحَ فيها هديلُ الحمامْ

* * *

وكنت تطلُّ علىَّ...

ويصحب خطوكَ...

ركبُ الربيع..

فيورقُ قلبٌ ذوى فى أكفِّ الصقيعِ..

وفى لحظةٍ يستحيلُ يبابى..

ندىً وزهورْ

ويكسو شفاه ربابى

بريقُ الحبورْ

* * *

فمن ذا

ـ وفى الأفقِ غيم طغى واستتبّ

..، يعيدُ الضياءَ الذى..

عن عيونى غربْ

وينزعهُ من سياجِ الأفولِ..

ومن ذا يبثُّ الندى

فيمحو غضونَ الذبولِ..

ودونكَ دربُ العناءِ الطويلِ..

وفى أولِ الدربِ..

لفَّ جوادىَ لفحُ الهجيرِ،

...، كبا فوقَ منحنياتِ التعبْ

شعاع اليقين

أيا أيها المستبيحُ..
دما أمّةٍ..،
كم سقتْ من ضياها..
شحوبَ الصباحِ..
بأفقِ الأممْ
وظلتَ قرونًا وراءَ قرونٍ..
ورايتها نجمةً
فى عيونِ القممْ

لئن غام حاضرها وادلهمّ

فرغم حصار جيوش النقمْ

.... لإسلامها السمح..

ما زال فيها شعاعُ اليقينِ

يضيء القلوبَ،

ويحيى الهممْ

وفى غدها...

فيلقُ الصبح..

سوف يعيدُ الفخارَ،

لخيرِ الأممْ

ويدفعُ بطشكَ ذا المستبيحَ..

دماها...

إلى حيث كهف العدمْ

ولو كره الكافرون

عاصفاتُ السمومِ..

التى بثَّها..

حقدُ أفواهكمْ

قد تُغَبِّشُ عينَ النجومِ..

وتطمسُ وجه النهارِ..

وقد تقلعُ الزرعَ...

قد تزرعُ الروعَ..

فى الآمنينْ

غير أنَّ مصيرَ الهبوبِ الحقودِ..،

هباءً

إذا شاءَ أن يطفئَ النورَ..،

فى مهجِ المسلمينْ

فإلهُ الوجودِ..،

متمٌّ ضياهُ..،

ولو كرهَ الكافرونْ...

آهةٌ

أنا الذى زرعتُها...

وتلك أرضى

أنا الذى رويتها..

منْ نبعِ نبضى..

وحينَ أزهرتْ..

ونورتْ

فذاكَ منْ رحيقِ ومضى..

***

وها أنا..

أجوبُ مهمهًا عسيرا

أكابدُ الهجيرا

وأشربُ اللظى،

ولا سبيلَ نحوَ فيئها..

النديّ.. يفضي

من سوف يكفُلُنا بعد موتك

أيا أيها الشيخُ..،

يا دوحةً..،

داهمتها رياحُ المواتِ..،

لمنْ سوف تأوى،

طيورُ الحروف التى لا تزالُ..،

برغمِ السنينَ الطويلةِ..،

تهفو إلى فىء أغصانكَ..،الحانيات..،

المجيراتِ..،

لفحةَ إعوازها بالعطاءِ النديّ،

وتمرِ المروءاتِ،

عطرِ الحدبْ

أيا شيخنا..

كنتَ فينا إمامَ الأدبْ

وشيخ القبيلة..،

تنزعُ عنا

سنانَ الشقاقِ..،

إذا ما اعترانا جنونُ الصراعاتِ،

فى ساحةِ الفكرِ..،

تجمعنا أخوةٌ..،

فى حنايا الضلوعِ الظليلة..،

تزهو بهم بسمة الثغرِ..،

...، يا شيخنا..،

كلُّ أحرفنا قاصراتٌ..

برغم سنا الانتشار بأفقِ الفنونِ..

فلم تتفطمْ..

من حنوكَ بعدُ

براعمُ هذى الغصونِ،

فمنْ سوف يكفلُ بعد المواتِ

قصائدَ رهطِ اليتامى الصغارِ..

ومنْ سوفَ ينزعُ عنا

جنونَ نصالِ الشجارِ..

الضليلة..

حين تمورُ رياحُ الشقاقِ..

لكيما يعودَ إلى الثغرِ ومض الوفاقِ..

وتزهو بنا اسكندريةُ... منْ..؟

---

* فى رثاء شاعر الإسكندرية الكبير الراحل - عبد الحليم قبانى، عليه رحمة الله.

نشاطِرُكَ الحبَّ

وتحملها فى ضلوعكَ..،
طيَّ كراتِ دمائكَ..،
أنىَّ اتجهتَ..،
وأنىَّ وضعتَ الرِّحالَ
يظلُّ هواها..،
كوشمٍ من النُّور
والعطرِ..،
فوق جبينكَ.،

بينَ ضفافِ عيونكَ..

لا تعتريهِ برغمِ رياح الرحيلِ

غيومُ الزوالْ

ويحتلُّ جيشُ هواها..،

حنايا فؤادكَ..،

أفقَ خيالكَ..

يسلبُ لبَّ يراعكَ..

لكنّ:

وأنتَ الجسورُ الذى لا يلينُ..

لها تستكينُ..،

تسلِّمُ كلَّ سيوفِ الإباءِ..

لفيلقها الساحلىِّ..،

تقبلُ أيدى هواها الذى يستبيكَ.،

وتختالُ بالإحتلالْ

* * *

فيا منْ..،

وأنتَ بظلٍّ.،

إسارِ الأميرةِ لكْ

يحلقُ طيرُ خيالكَ...،

يبهرنا.،

إذ يقصُّ علينا

حكايا الوصال بها.،

ويطلقُ فى أفقنا المستثارِ.،

أريجًا من العنبرِ الساحلىِّ

فنغدو أسارى.،

لتلك الحكايا.،

تلوحُ خيوطُ النهارِ..

ونحن سهارى..

فلا «أحدٌ - حين تحكى ينامْ

لأنَّا نشاطركَ الحبَّ..

ننهلُ - مثلك - كأسَ الهيامْ

ويسكنُ فينا

هوى «اسكندرية»

◆ إلى الأديب السكندرى إبراهيم عبد المجيد.

عملة كذّابة

«إلى المهرولين والمطبعين، فى وقت يبطش فيه الغاصب الصهيونى بشعب فلسطين الأعزل، ويدنس المسجد الأقصى بالنعال الصهيونية»

فى زمانٍ مسربلٍ بالكآبةْ
أى لحن به تغنِّى الربابه
أىّ لحنٍ وكلُّ نجمٍ تبدَّى
فى سمانا طغتْ عليهِ سحابةْ
والشموخُ الذى تعالى صروحًا
فى زمان السنا سففنا ترابةْ

والجيادُ التى أضاءتْ ربى المجدِ(م)

تهــابُ العــدوَّ، تخـشى كــلابهْ

أيهـا البـائعـونَ سـيفَ الصـلابة

بوعـــودٍ وعـــملةٍ كـــذَّابهْ

كـيف نسـعى إلى رضـاءِ عـدوٍّ

غـــارزٍ فى ضلوعنا أنيـــابهْ

وبصـــدر القـــبـــابِ منهُ أنينٌ

وبقلبِ الإســلامِ منهُ إصـــابهْ

أهـو سلمٌ أن ننحنى لعـــدوٍ

غــاصبٍ حــقنا ونطرقُ بابهْ

وهو مـازالَ والغًـا فى دمِ القُـدْسِ

يروِّى من مـقلتـيـهـا حـرابهْ

إن مـسرى الرسـولِ مـا زال يبكى

زمنَ المجــدِ والسنا والنجــابهْ

غـــادرتهُ حـــمـــائمُ النورِ حـــزنًا

وطيـــورُ الظلامِ غطتْ قـــبـــابهْ

أحـــرقـــتـــهُ أيدى الطغـــاةِ وداستْ

قـــــدمُ الـرجسِ والخنـا أجـنابهْ

أيهـا البـــائعـــونَ ســـيفَ الصـــلابهْ

بوعــــودٍ وعــــــملةٍ كـــــذابهْ

صرخةُ الأقصى فى السماءِ عودٌ

منذ داستْ كـــلابُهم مـــحـــرابهْ

وأنين القـــدسِ الجـــريحِ دعـــاءٌ

ويلكمْ منهُ حـــين تأتى الإجـــابهْ

الثعلب

الثعلبُ «الكاوبوىُ»...

أقبلَ فى ثيابِ العارفينَ..

مقنعًا بنظامهِ الدولىِّ

يخفى فكَّهُ الموشومَ بالنجمِ السداسىِّ..

المشبعِ بالدما...

بيديهِ مسبحةٌ..

وأسفارٌ مدبجةٍ بليلٍ...

خطَّها أحبارُ صهيونٍ...

ويزعمُ أنَّه..

قدْ جاء كى يحمى الحمَى..

ويضىء نورَ الأمنِ..

فى أفقِ الخليج اليعرُبىِّ..

وينزعَ السكينَ من قابيلِ بغدادَ الجديدْ

- ٢ -

الثعلب «الكاوبوىُ»

شيدَ وكرهُ..

فى قلبِ صحراءِ الخليجِ المسلمِ..

ودعا...

دنانيرَ الخليجِ لتحتمى..

بدهائهِ،

من شرِّ أطماعِ الأخ الضّالِ الحقودْ

- ٣ -

الثعلب «النوويُّ»:،

جربَ فى ربوعِ عراقنا.،

ما لم يجربّ من صنوفِ عتادهِ،

ووسائل البطشِ الجديدّ

- ٤ -

الثعلب «النوويُّ»

يعمى،

لا يرى،

ذاك الذى زرعته أمريكا.،

بقلب عراقنا،

شحذته نصلاً،

ثم أغرتهُ.،

بأنّ يعدو على الإخوانِ.،

ينهبُ دارةَ الجيرانِ،

لكنْ: مخلَبُ «المكّار»

لا يعمى،

عن اللحمِ العراقىِّ الشهىِّ..

يمورُ فى أنيابهِ حقدٌ تليدْ

إذْ لم تزل بغدادُ رغمَ همومها..

رغم الجراحِ النازفاتِ بقلبها..

....، رمزًا لراياتِ الفتوحِ،

لعزةِ المنصورِ،

للجيش الذى جعلَ السحابةَ،

أينما تمطرْ

يجئْ..

منها الخراج إلى الرشيدْ

الثعلب «الكاوبوى»

لم يبرح منازلنا.،

توالد وكرهُ.،

وفشتْ بأرضِ العربِ.،

ظلمةُ كيدهِ.،

ما زال ينهبُ فى الحظائر.،

يطلق الفتوى رياحًا عاصفاتٍ.،

تطفىءُ الأنوارَ.،

فى أفقِ البصائرِ،

.تبذرُ الأضغانَ فى حقلِ الضمائرِ،

غيرَ أن الغافلينَ،

وقد رأوهُ لم يزل يتلو من التلمودِ،

أسفارًا،

ويبدو فى ثيابِ العارفينَ،

يباركونَ فعالهُ،

ويصدقونَ،

بأنَّ «الكاوبوى.. دين»

ما عُدتَ أخي

- ١ -

ما عدت أخي
منذُ قبلتَ الدعوةَ..،
وجلست
على مائدةِ الأعداءِ
وأكلتَ..،
شربتَ..،
تسامرتَ..،

تضاحكتَ..

فليس على هذى المائدةِ المشئومة

إلا..،

لحمى ودمائى...،

- ٢ -

ما عدتَ أخى..

حين هَرعتَ تعزِّى،

أهلَ القاتل...،

حين هلكْ

فلكمْ..

قتلَ القاتلُ..

أهلكْ

- ٣ -

ما عدتَ أخى..

لما قايضتَ شموخَ البيرقِ..

بأمانِ الجبناءْ

فلقدْ كانتْ أمنيةُ البيرقِ..

أن يشرقَ فى العلياءْ

لما تُرفع أنت شهيدًا ...

لا أن يلقَى..

مثلكَ منتكسَ الهامةِ،

تركلهُ أحذيةُ الأعداءْ

وَرْدُ الفَخار

مدججٌ يا أيها الرعديدُ بالسلاحْ

لذا

تجاسرتْ خطاكْ

لذا..،

تطاولت يداك

لمّا رأيتنى..،

مُحاصرًا وأَعْزَلا..

لمّا رأيتَ مهريَ الجسورَ..،

بالأسوارِ كُبِّلا...

لكننِّى..

برغمِ عزلتى...

... وكلِّ ما فى الصدرِ من جراحْ

لن أطعمَ الترابَ..

رايةَ الكفاحْ

لن تنتشى..

بذِلةِ انحنائى...

آثرتُ أنْ أموت كالأشجارِ..

سامقًا...

وأجتنى وردَ الفخارِ...

من حدائقِ الفداءِ

نبضُ النور

«إلى الشاعر.م.م»

إلامَ وقـــــدْ أثقلتكَ الذنوب

وغلَّفَ عـمـركَ غـيمُ الغـروبْ

يلوح شــعــاعُ الرشــادِ ويدعــو

إليـــهِ خطاك ولا تســتــجــيبْ

وتبــقى بكهف الضـــيـــاعِ زَرِيًا

أســـيــرَ الظلامِ، ربيبَ الكروبْ

تعـانى الضنا من كـؤوسِ الخطايا

وتسـعى إليـهـا بشـوقٍ دؤوبٌ

أمـا بددَ العـمـرَ وهمُ الرواءِ

وضِـيعتَ وراء سـرابٍ كـذوبٌ

أمـا قـد تكشفَ وجـهُ الغـوايةِ...

خلف القناعِ دمـيـمـا رهيبٌ

أمـا انهـار فـوقكَ صـرحُ الأمـانى

ركـامَ رمـال بكفٌ الهـبـوبٌ

فكيف يظلُّ السـرابُ يقـودُ

خطاكَ لقيظ الصدى والنضوبٌ؟

وكـيف تتـوقُ لوجـهٍ تبـدَّى

لعـينيكَ منهُ سُـعـارُ النيـوبٌ

وكيفَ تعـيـدُ أمـامَ العـواصفِ...

قـصـرَ الرمـال ولا تسـتـريبٌ؟

أيا غـافلَ العـقلِ أمـرٌ عـجـيبٌ

برأسكَ يبـدو وقـارُ المشـيبَ

ومـا زلت تسـعى لكهفِ الضـلالِ

وغـيـر دروب الهـوى.. لا تجـوبَ

كـأنكَ يا غـافـلاً مـا أضـعتَ...

السنينَ هبـاءً بتلك الدروبَ

كـأنَّ قـتـادَ الهـوى فى يديكَ

زهـورٌ مـنـوّرةٌ وطـيـوبَ

كـأنَّ ركـامَ المنَى المتنـاثرَ...

فى السـفحِ قـصـرٌ قـوىٌّ مـهـيبَ

أيا غـافل العـقل هل تسـتجـيبُ

وهل منْ مـتـابٍ وطهـرٍ قـريبَ

كـفـاكَ رقـادًا بكهف الذنوبَ

يلفكَ يأسٌ وليلٌ كـئـيبَ

كفاكَ فما عادَ منْ شمسِ عمركَ..

غـيـرُ شـعـاعٍ كـسـاهُ الشـحـوبْ

طريقُ المتـاب التـمـسـهـا تجـدها

ضـــيـــاءً يشقُّ ظلامَ الـذنوبْ

إليـهـا فـمـا حـجـبتْ عن ضليلٍ..

ضـيـاها إذا مـا سـعى كى يتـوبْ

ودعْ عنكَ سـتـرَ القنوطِ البـهـيم...

فـمنْ قـصـدَ الله ليس يخـيـبْ

ومـهـمـا تفـاقمَ ذنبُ العـبـادِ

فـعـفـو إلهِ العـبـادِ رحـيب

فيكَ النَّجاةُ

الأفقُ عـامَ، وغـامَ فـيـه الزورقُ
فى بحـرِ عـمـرٍ مـوجُـهُ لا يرفقُ
طالَ الرحيلُ، ونجمُ سعدكَ غاربٌ
والـزورقُ الحــيــرانُ وانٍ مــرهـقُ
لا شطَّ تبـصـرُ ضـوءهُ، لا منتـهى
لمدىً بهِ عــينُ الهــلاكِ تحــدِّقُ
تلقى عليكَ العـاصـفـاتُ مـوارها
والنوءُ جــهـمٌ والشــراعُ ممزَّقُ

لكن: أتتـركُ مـا تبـقّى من خطىً

فى تيـهِ غـيـمـاتِ الدياجى تغـرقُ؟!

وتظلُّ منتظرًا ضــيــاءً يهــتــدى

بشـعــاعــهِ نحـو النجـاةِ... الزورقُ

ولقــد تضــيعُ العــمـرَ منتظرًا ولا

نجمٌ يلوحُ ولا منىً تتـــحـــقّقُ

أنتَ الذى بمشــاعلِ الإيمــانِ فى

دمكَ، الغـيـاهبُ والمصـاعبُ تزهقُ

أنتَ الذى برواءِ عــزمكَ ينمــحى

حَــدْبُ الليــالى والأمـــانى تورقُ

ولكمْ أحـاطتكَ الكروبُ بنسـجـهـا

فــإذا بهــا بسنا الهــدايةِ تمحقُ

لا تنتظرْ ما قد يجىءُ ولا يجىءُ (م)

و فــيكَ قلبُ بـالهــدايةِ يخــفقُ

فيكَ النجاةُ.. أنرْ مصابيحَ التقى

سيزولُ نوءٌ والدجى يتمزقُ

ويضيءُ زورقكَ المسربلُ بالأسى

ويلوح شطٌّ - بالأماني - مشرقُ

الذى سوف يبقى

لأنكَ وجهتَ قصدكَ..

شطرَ العبادِ...،

رجاؤكَ - فى غوثِهمْ - بُدِّدا..

تمادتْ خطاكَ..

وراءَ السرابِ الكذوبِ..

فكلَّتْ..،

وضلَّتْ

بتيهِ البوادي،

ولم ترتشفْ،

غيرَ قيظِ النضوبِ..

ولفحِ الصدى..

وكنتَ الذى،

راح يغرسُ..

يسقى ويكدحُ

ثم.. إذا ما أهلَّ أوانُ الجنى..

يشعُّ بعينيهِ نجمُ الرضا..

حينَ تفرحُ

كلُّ الأكفِّ

بفوحِ الثمارِ..

وما قلتَ يومًا: أنا...

لأنكَ.. كنتَ الغياثَ،

وكنتَ الندى،

ظننتَ.. بأنَّ هجير السنين العجافِ

التى داهمتكَ،

وألقتْ على الأغصُنِ الناضراتِ..

قتامَ الجفافِ..

سيودى بهِ ما خزنتَ لدى الغيرِ

فى سنواتِ الجدا..

جهلتَ..

بأن الذى هو عند الإله.. سيبقى..

وأن الذى فى أيادى

العبادِ... سُدى

أنا لم أُخطئ

أنا لم أخطئْ..،

لما أغلقت البابْ

فأنا ما زلتُ حفيًّا بالأصحابْ

ولكمْ كان البابُ أمامك..

مفتوحا..،

وفؤادى مضيافْ

لمَّا كنتُ أُحسكَ مثل نسيمٍ..

صافٍ هفهافْ

لا يُخْشَى منهُ على قنديلى

لكنى اليومَ أُحِسكُ ريحا..

عاصفةً هوجاءً

مشبعةً بموارٍ وعويلِ

وأنا.. قنديلى

أضحى بعد مضىِّ العمرِ..

ضعيفَ الأضواءِ

براءة

كادَ يقولُ الطفلُ المذهولةُ عيناهْ:

ذهبَ الصيفُ..

وما نحن على الشاطىء يا أبتاهْ

فلماذا أبصرُ كلَّ النسوةِ..

فى هذى الحفلةِ..

شبه عراهْ

ولماذا كلُّ رجالِ الحفلةِ..

بملابسَ كاملةٍ..

هل هو بخلٌ من زملائكِ..

يا أبتاهُ على الزوجاتْ؟

لكنَّ الطفلَ ابتلعَ الكلماتْ

لما أبْصَرَ فوق موائدهمِ..

أشهى أصناف اللحمِ..

وأندرَ أنواع الفاكهةِ..

وأجملَ أشكالِ الحلوى..

وزجاجات

تتلألأ فيها المشروباتْ

فجرى ريقُ الطفلِ..

ولكنْ:

لم يفتأْ يتأجج فى عينيهِ..

ذهولُ النظراتْ

من أقوال الشيخ العارف بالله

- فى موقف يتكررُ تلك الأيام كثيرًا -

قال الشيخُ العارفُ باللهِ.. لعبدٍ يتسيَّدُ بالجاه..، ويتلمعُ بالتبرِ.، ويتقنَّعُ بقشورِ البرِّ، ويبرقُ بينَ أصابعهِ عقيقُ المسبحةِ.، إذا ما شعَّ وميضُ «فلاشاتِ» الإعلامِ....

- أيا منْ تبدو فيكَ برغمِ براءةِ سمتِ قناعكِ سوءاتُ الإجرامِ.، على رسلكَ..، يا مخدوعُ.. على رسلكَ.، هل أودَى عشقُ الذهبِ بعقلكَ؟.، منْ تخدعُ؟ هل تخدعُ مَنْ لا يُخدعُ؟!

قد تخدعُ حذرَ عيونِ العسسِ، وسهرَ سلاحِ الحرسِ، وأصحابَ السلطان، وكل قضاة الدنيا، بألاعيبِ البهتانِ.. وقد تخدعُ أهلكَ من لا تتوارى عنهم عورتكَ..

ولكنْ: هل تخدعُ من يعلمُ سركَ؟، من خلقكَ، من سواكَ فعدلكَ، فأعدْ هذى المسبحةَ إلى حالتها الأولى، لن يجديكَ مرورُ أصابعكَ الموصومة بالآثام عليها، أرجعها خبزًا وشرابا سلبتهُ يداكَ من الجوعى، أرجعها للمسلوبين هدايا، ما قدمها منهم أحدٌ لكَ طوعا، أرجعْ هذا الشحم المتراكمَ فى صدغيكَ، وفى زنديكَ وفى كرشكَ للمهزولينَ المسروقين، تطهرْ.. واعلمْ أنكَ مهما تتدثرْ بقشور البرِّ الزائف يظهرْ.. سمتُ الشيطانِ عليكَ، تطهرْ.. تبصرْ كلَّ متاع الدنيا - يا مغرورُ - غرورا.. والباقى فيها مهما طالَ العمرُ.. يلوح قصيرا...

انزعْ هذى الأقنعةَ، احرقها بضياءِ دموع الندمِ.. وقُمْ.. قُمْ من غفلتكَ، فأنتَ المخدوعُ الغافلُ.. لست الخادعَ، لست البارعَ، لست الرابحَ، لست الفالحَ.. لست المالكَ

- يا عبدُ - لمالكَ، إذْ يأسركَ العرضُ الزَّائلُ.. قُمْ. حطمْ قيدكَ وتحررْ.. بعهُ.. بعهُ بالباقى الصالح تنعمْ..، بادرْ قبلَ مجىء أوانٍ لا يجدى فيهِ أن تندمَ، فشعاعُ العمرِ يسير - برغمكَ - نحو غروب،

ولتعلمْ

يا مَنْ لا تملكُ مالكَ

أنَّ الأكفانَ بغير جيوب

النور فى عرفات

عرفاتُ بالأضواءِ..،

مؤتزرهْ

وعلى الرُّبا الرّيانةِ العطرهْ

سطعتْ..،

دموعُ التوبِ منهمرهْ

وإلى السماءِ..،

سَرَتْ شعاعاتُ الدعاءْ

..، لبيكَ يا رحمنُ لبيكْ

لبيكَ إنَّ الحمدَ لكَ

والملكَ.. لا شريكَ لكَ

جئنا رحابكَ تاركينَ وراءنا..

أولادنا، أموالنا..

وزخارفَ الدنيا..

وقلوبنا تهفو إلى نعمى رضاكَ..

اغفرْ لنا..

إسرافنا فى أمرنا..

يا ربنا رحماكْ

والنورُ يغمرُ منْ يلبى

فتفيضُ بالبشرِ القلوبْ

لبيكَ عبدى.. ساعديكْ

سيظلكَ العفوُ الرحيبْ

* * *

عرفاتُ جمعٌ لا يعدُّ...

ولا تفرقهُ السماتُ..

ولا اللغاتُ..

ولا السحنْ

إسلامهمْ لهمو وطنْ

...، والكلُّ للرحمن عبدُ

يتسابقونَ

- وحبذا هذا السباقُ..

إلى رحابِ المغفرةْ

وعطاءُ ربٍّ العالمينْ

ثرٌّ رحيبٌ لا يحدُّ...

وليس يُحجبُ عن رجاءِ السائلينْ

ما منْ يدٍ ترجو نداهُ..

وتستعينْ

إلا وترجع بالأمانى ظافرهْ

والنور يغمر من يلبى.،

فتفيضُ بالبشرِ القلوبْ

لبيكَ عبدى.. ساعديكْ

سيظلُّكَ العفوُ الرحيبْ

رحماك

حينَ دنوتُ..،

انقشعتْ ظلماتى،

وتلاشتْ عن عينى أغشيةُ الزيغِ..،

انحطمتْ..،

أنيابُ النزواتِ

وأورقَ نبضى..،

نغمًا نورانيًا..،

طمسَ لحونَ الرجسِ..،

وهأنذا.. بيدىَّ لجامُ النفسِ

أوجهُ خطوىَ..

نحو صراطِ رضاكَ...

فهبنىَ رضوانا يا رباهُ..

تقبلْ..

منْ قلبى المتبرىء..

من نبضات الأمسِ..

الداجى..

تقواهْ

حينَ دنوتُ.. أقودُ زمامى

تَحنى ظهرى الأوزارُ...

أتوقُ إلى بابكَ..

يعصمنى..

يؤوينى..

بعد ضياعٍ فى بيداءِ الغيمِ.،

الطامى.،

ولهاثٍ صادٍ لم يطفئهُ.،

سرابُ الوهمِ.،

ـ وجدتُ البابَ رحيبًا.،

مفتوحًا.،

تبزغُ منهُ الأنوارُ.،

وتدعونى

فنهلتُ من الفيضِ النورانىِّ.،

سجدتُ بطهرِ رحابكَ.،

واتقدتْ روحى.،

بالألقِ العلوىِّ،

ولكنَّ: لما أبصر خطواتِ الأمسِ

على دربِ الآثامِ.،

سطورًا من غلسٍ،،

شوهاءَ الحرفْ

ـ تدهمنى رجفاتُ الخوفْ،،

فتقبلْ.. يا منْ لا حدَّ لغفرانكَ دعواتى

وامحُ حروفًا،،

كالحةً منْ صفحاتى..،

....، رُحماكْ

صدر للشاعر

١ ـ تداعيات ـ شعر ـ عن المجلس الأعلى للثقافة عام ١٩٩١م.

٢ ـ فى انتظار الشمس ـ شعر ـ عن الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩١م.

٣ ـ فى ظلال الرضا ـ شعر ـ عن رابطة الأدب الإسلامى العالمية بالرياض بالتعاون مع دار البشير للنشر بعمان.. عام ١٩٩٨م.

٤ ـ ومضة فى جبين الجواد ـ شعر ـ عن دار الوفاء ـ بالإسكندرية ١٩٩٨م.

٥ ـ نظرات فى شعر د. غازى القصيبى ـ دراسات أدبية ـ بالإشتراك مع الشاعر أحمد فضل شبلول ـ عن دار الوفاء للنشر بالإسكندرية ١٩٩٨م.

٦ ـ ومضات إسلامية فى الشعر العربى المعاصر ـ دراسات أدبية ـ عن دار الوفاء للنشر ـ بالإسكندرية عام ١٩٩٩م.

٧ ـ رؤية إسلامية فى الأدب والثقافة ـ مقالات ودراسات ـ عن دار الوفاء للنشر بالإسكندرية عام ١٩٩٩م.

٨ ـ أوراق قديمة وأوراق جديدة ـ شعر ـ عن دار الوفاء للنشر بالإسكندرية عام ١٩٩٩م.

٩ ـ نبضات وألوان ـ شعر ـ عن المجلس الأعلى للثقافة عام ٢٠٠٠ م.

٠١ ـ تنويعات على أوتار أصيلة ـ شعر ـ عن دار الوفاء للنشر عام ٢٠٠١م.

المحتويات

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٨٥٥ /٢٠٠٥

I.S.B.N.977 - 01 - 9472 - 7